● الحكم على الإبـداع الفني ـ ومنه الـرواية ـ يبقى على الـدوام حكماً نسبيـاً مهما بلغ جهد الناقد في البحث.

إنّ أيّ مهتمٍّ بنقد النقد يمكن أن يلاحظ بأن الناقد: طه وادي لم يتخلص كلياً من تأثير النقد الإديولوجي المباشـر بل إنـه يحتفظ ببعض المفردات الشـائعة فيـه منها: (النضـال ـ والطبقات الصاعدة). غير أننا لا نجد آراء الناقد وتصوراته المنهجية إلا انطلاقاً من الاتجاه الغالب في حديثه النظري، ولذلك نلاحظ بأن تركيزه على تحديد الموقف الفكري للمبدع يقرِّب تصوره النظري من النمط الثالث الذي نتحدث عنه هنا وهو نمط لا يدلي فيه الناقـد بموقفه، ولكنه يعرض فقط المواقف والرؤى التي يعبر عنها الروائيون من خـلال أعمالهم. كما أن حديث الباحث عما سماه ضرورة مناصرة الناقد للقيم الإنسـانية الجـديدة، يُخفِّف إن لم نقل يلغي، كل تأثير للكلمات المتصلة بالنقد الإديولوجي المباشر لأنه يوسع مفهـوم الالتزام ويرفعه إلى مستوى القيم الإنسانية العامة.

يضاف إلى هذا كله أن الناقد يلغي وثوقية الأحكام النقدية التي يأخذ بها أصحاب النقد الإديـولوجي المبـاشر، عنـدما نـراه يتحدث عن نسبيـة الأحكام النقـدية المتصلة بـالإبداع الأدبي. (ص: 6).

لم يستخدم أغلب النقاد الذين مثلوا هذا النمط النقدي الاجتماعي الثالث المعتمد على مفهوم الرؤية، أقول لم يستخدموا مفهوم «الرؤية» بالـذات، وقد لاحـظنا أن د. طـه وادي تحدث فقط عن «الموقف الفكري للأديب» كما تحدث أيضاً عن «المضمون الإديولوجي» لأعماله. غير أننا بيَّنا أنّ مثل هذه الصيغ تحمل في تضاعيفها مفهوم الرؤية. كـذلك نـرى ناقداً آخر لا يتحدث إلا عن كون الأدب جزءاً من الإديولوجيا، إنه إلياس خوري في كتـابه «تجربة البحث عن أفق»[41]، فلم يرد في مقدمتـه النظريـة ذكر لمصـطلح الرؤيـة، مع أنـه عنون قسماً من كتابه بهذا الشكل «الرؤية الثـورية والحـدود الواقعيـة» (ص: 47). ومع أن بعض آراء هذا الناقد تُقرِّبه من اتجاه سوسيولوجيا النص، إلا أنه لم يقدم دلائل كافية على مثل هذا التوجه فقد اكتفى بالقول بأن الإبداع الأدبي يتفاعـل أساسـاً مع اللغـة وأن المادة الأدبية الأساسية هي اللُّغة (ص: 10) ولم يستثمر هذه الفكرة، لا فيما تـلا من المقدمـة أو من الكتاب في مجمله[42].

---

(41) الياس خوري: **تجربة البحث عن أفق** (مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمـة) مركـز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ط 1. 1974. (اعتمدنا على هذه الطبعة).

(42) نعتمد هنا على ما قلناه في دراسة خاصة عن هذا المُؤلَّف في الحلقـة الدراسيـة التي نظمتهـا كلية الآداب بتطوان بتاريخ 86/02/21 وجاءت (أي الدراسة) تحت عنوان: **البنيوية التكوينية ونقد الـرواية العربية**.